حرية التفكيروحدودها عند ناصيف نصار

Freedom of thought and its limits for Nassif Nassar

*فاتن سفيان[1]، محمد بن سعيد
[1] قسم العلوم الإنسانة والعلوم الاجتماعية المركزالجامعي نورالبشير.البيض،
f.sofiane@cu-elbayadh.dz
[1] قسم العلوم الإنسانة والعلوم الاجتماعية المركزالجامعي نورالبشير.البيض،
bensaidmed67@gmail.com
مخبرالأنساق والبنيات والنماذج والممارسات. العلوم الإجتماعية والترجمة.lssmp جامعة وهران2

تاريخ الاستلام: 2022/11/10 تاريخ القبول: 2023/07/17 تاريخ النشر: 2023/12/28

ملخص:

تطرح هذه الورقة البحثية إشكالية حرية التفكير وحدودها عند ناصيف نصار، وتنطلق من مسلمة مفادها أن حرية التفكير جزء من الحرية والتي هي حق وضرورة إنسانية، حيث يفهم نصار حرية التفكير على أن أساسها هو اكتشاف الفكر لذاته، وتعقله لكيفية إنتاجه للأفكار وكيفية تفاعله مع الحياة معززا ذلك التفاعل بالحرية، على نحو مسؤول، وحرية التفكير لا قيمة لها إذا بقيت حبيسة الفكر لذلك ارتبطت بحرية الفعل وحرية التعبير، ويؤكد على وجود مفاهيم ساهمت في تبلور حرية التفكير في العصور الحديثة على رأسها مفهوم الكوجيتو الديكارتي وما يطرحه عن الحرية والذي أصبح بمثابة المسؤولية التي يطالب كل مثقف بحملها، ومفهوم الأنوار الذي أطاح بفكرة السلطة والتسلط على العقل البشري، وكذلك مفهوم النقد الذي وسع أفق الإبداع والذي قوض وهم الحقيقة المطلقة، ومفهوم الاختلاف الذي يعد المبرر الحقيقي لحرية التفكير وذلك من خلال تعدد المفاهيم وتعدد الأفكار الناتجة عن اختلاف التجارب المعاشة، ولا شك التفكير الأيديولوجي والتسلط السياسي والتعصب المذهبي كعوائق تحد من فاعلية العقل نحو الإبداع تنمحي إذا تحققت حرية الفكر ضمن إطار قانوني والأخلاقي.

كلمات مفتاحية الحرية ؛. حرية التفكير ؛. الكوجيتو ؛. الاختلاف ؛. التنوير؛. ناصيف نصار.

---

* المؤلف المرسل: فاتن سفيان1 ، الإيميل: authorC@mail.com

Abstract:

This research paper raises the problem of freedom of thinking and its limitations for Nassif Nassar and starts from a postulate that freedom of thinking is part of freedom, which is a human right and necessity, where Nassar understands freedom of thinking as based on the discovery of tho

ught for itself, and its rationalization of how it produces ideas and how it interacts with life, enhancing that interaction with freedom, responsibly, and freedom of thinking is worthless if it remains locked in thought, so it is associated with freedom of action and freedom of expression, and emphasizes the existence of concepts that contributed to the crystallization of freedom of thinking in modern times, on top of the concept of Cogito Cartesian and what he proposes about freedom, which has become the responsibility that every intellectual demands to carry, and the concept of lights that overthrew The idea of power and domination over the human mind, as well as the concept of criticism, which expanded the horizon of creativity and overthrew the illusion of absolute truth, and the concept of difference, which is the true justification for freedom of thought through the multiplicity of concepts and the multiplicity of ideas resulting from different lived experiences, and no doubt ideological thinking, political bullying and sectarian intolerance as obstacles limiting the effectiveness of the mind towards creativity will disappear if freedom is achieved within a legal and moral framework.

Key Word: Freedom. Freedom of thought, Cogito, difference, enlightenment, Nassif Nassar.

- **مقدمة**

تماهي العقل مع أزمات الواقع باحثا عن حلول لها هو ما يخلق تفكيرا فلسفيا، واعيا، وإبداعيا، ويحمل لقب الفيلسوف من كان منهما بمشكلات واقعه كاشفا لأزماته المحايثة، ودارسا لتخبط الفرد الاجتماعي داخل دوامة من المعضلات الناتجة عن احتكاكه بالعالم وبالآخرين، لذلك كان المفكر أو الفيلسوف هو المنقذ من خلال رفعه مشكاة العقل منقبا عن حلول

وتزعم الفلسفة العربية الإسلامية أنها تطرح إشكاليات خاصة بها، والواقع أنه قد يبدو تأثير الأفكار الغربية في طرق مثل هذه المواضيع باديا لكن هذا لا يمنع أن هذه التوجهات في مجملها ليست عبارة عن

تنظير مفارق كليا للواقع، فهناك إسهامات المفكرين العرب حاولوا من خلالها معالجة مواضيع جادة تلامس واقع الفرد العربي وتحاكي معاناته التي تنبعث من تجربته المعاشة والمليئة بالتحديات محاولين بذلك إيجاد حلول لهذه المشكلات وذلك في إطار الديمقراطية التي تضمن ممارسة الحرية باعتبارها معطى إنساني تتفق العقول على حقيقته، كما وتتعدى ذلك إلى ضمان مشروعية حرية التفكير ، هذه الأخيرة التي ارتفع صيتها في حقل القيم داخل زمنية الحداثة وقد كانت مصب اهتمام العديد من المفكرين العرب وعلى رأسهم المفكر اللبناني الناقد ناصيف نصار (1940) صاحب مشروع الاستقلال الفلسفي، الذي حاول التعرض لمفهوم حرية التفكير وأن يبحث في مساحتها ويتعرض لعوائقها وحدودها

تعد الديمقراطية أكثر المواضيع التي تجذب انتباه المنشغلين بالواقع العربي تلك الأولى التي تستقيم دون أن تفتح باب الحرية

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، تتبعها إشكالية البحث ثم الفرضيات المطروحة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

محتوى النص

1. **الحرية وحرية التفكير**

قبل الخوض في البحث عن مقاربة للإشكالية ومحاولة فهمها وجب أن نبحث في مفهوم الحرية عموما، ونحاول ضبط مفهوم حرية

التفكير ونتعرف على كيفية ظهور المصطلح إلى الواجهة الثقافية على مدار تاريخ التفكير الإنساني.

1.1مفهوم الحرية

لنتعرف على مفهوم الحرية ونستطيع ضبطه ضبطا صحيحا آثرنا البحث فيه من الناحية اللغوية أولا ثم نعرج على مفهومه من الناحية الاصطلاحية

1.1.1 لغة

يشير لسان العرب أن مادة حرر وردت بمعان كثيرة ولم ترد بمعنى واحد ولا بمعان محدودة وأخذنا المعنى الأكثر تداولا وهو أن الحرية من " من مصدر حررت تحر وحر يحر حرارا إذ عتق، وحر يحر حرية من حرية الأصل وقال آخرون: إن الحرية مصدر من حر يحر إذا صار حرا والاسم الحرية ولحر بالضم نقيض العبد، والجمع أحرار وحرار، والحرة نقيض الامة والجمع حرائر ويقال حرره إي أعتقه والمحرر أي المعتق " (ابن منظور ،1400، ص 81) إذن الكلمة في اللغة مشتق من فعل حرر والذي يعني رفع القيود عن الإنسان المقيد

كما يذكر الجرجاني أن الحرية " الخروج عن رق الكائنات وقطع العلائق والأغيار" (الجرجاني، 1985، ص 91) ويقصد بالرق هنا هو العبيد وهم الذين فرض عليهم شيء بالإكراه، فالحرية تأتي بمعنى الخروج عن دائرة العبودية الذين تفرض عليهم قيود إلى دائرة اللاقيود دائرة اللاجبر.

2.1.1 اصطلاحا

الحرية ككلمة تختلف في مفهومها عن تطبيقاتها حيث أن المفهوم يوحي باللا محدودية، في حين أن التجربة الواقعية تثبت شيء آخر، وتجنبا لتقديم أحكام مسبقة نعود للمراجع المختصة حتى نبحث فيما توفرت عليه من معاني أصطلح عليها للكلمة.

ومن ذلك ما ذكره لالاند في معجمه عن الحرية قائلا: "هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء وليس ما يريده شخص آخر سواه، إنها

غياب إكراه خارجي" (أندريه لالاند، 2001، ص 727) والمقصود من هذا القول هو إن للإنسان القدرة على فعل كل ما يرغب أو عدم فعله، وفقا لإرادته لا بتوجيه من شخص آخر ولا تحت تأثير شخص آخر ، فيمكن أن يوجه الإنسان بشكل غير مباشر لخدمة ما يريده الآخرون، ومثال ذلك تأثير الإعلام في حرية الاختيار حيث نجده يركز على إيجابيات ما يريد له أن ينتشر ويغطي سلبياته ومن خلال ذلك يؤثر على توجهات الغير، فإذا كانت الحرية اختيار فعل الشيء أو تركه دون إجبار خارجي أو دون إكراه سواء كان هذا الإكراه مفتعل أو طبيعي ـ والمقصود بالمفتعل هنا أنه موضوع من طرف قوى أخرى سواء بشرية أو قوى ميتافيزيقية خارقة وخارجة عن الطاقة البشرية فهي كذلك من شأنها أن تحد حركة الإنسان وأن تقيد استطاعته وحريته في الاختيار ـ فهذا يعني ضرورة عدم الخضوع لكل تلك المؤثرات وضرورة التسلح بالعقل ليحقق الإنسان قناعاته الخاصة التي تعبر عن حريته الفعلية.

والحديث عن حرية الاختيار يقونا للحديث عن ضرورة أن تكون هناك إمكانات مفتوحة أما الشخص الحر لتكون حريته مطلقة

فالإنسان الموضوع في وسط ضيق من الأشياء المتاحة تعد حريته نسبية كونه لا يملك القدرة على اختيار أكثر مما هو مسطر له، وهذا الأفق الضيق من الحرية يجعل الإنسان ذو استطاعة محدودة، ومن هذا المنطلق نجد أن مفهوم الحرية في مجال العقائد والاعتقاد مربوط بالاستطاعة " فإن علماء الكلام تداولوا معاني مصطلح الحرية بالمعنى المتعلق بالإرادة والاستطاعة، بمعنى هل الإنسان حر في أفعاله أو أنه مجبر على أفعاله؟ وهذه المسألة قد تنوعت فيها المدارس الاعتقادية والكلامية ما بين طرفين ووسط" (خالد بن عبد العزيز، 2021، ص 468) وعليه انقسم المنشغلون بقضايا علم الكلام إلى مواقف فهناك من قال بوجود حرية مطلقة يعيشها الإنسان العاقل، وهناك من يقول بأنه لا وجود للحرية إطلاقا وأن الإنسان مقيد تقييد تام ولليس له الحق حتى في تقرير واختيار تقدمه ولو خطوة واحدة للأمام فكل شيء مسطر من طرف الله وما على العبد إلا الامتثال والرضوخ دون مناقشة ولا أي محاولة لإعمال للعقل وهناك من اتخذ من الوسطية موقفا له فيقول بأن هناك مساحة للإنسان فهو لا حر بشكل مطلق ولا مقيد بشكل نهائي إنما يمكن أن يكون له الحق في اختيار مواقف وأشياء تتعلق بحياته، وفي ذات الوقت لا يمكنه أن يختار ما كان من صلاحية الله تحديده.

وبالنسبة لآراء المفكرين العرب يذكر عبد الرحمان بدوي أن الحرية في العصور الحديثة ارتبطت في الأساس بالعلاقة التي تحكم تفاعل الكائن الحي مع المحيط الذي يعيش فيه، وهي تتخذ من الانسان

الركيزة في عملية الاختيار وإرادة الفعل أو عدم الفعل (عبد الرحمان بدوي، 1984، ص 460) ويبقى المتفاعل مع المحيط بحاجة إلى حرية حتى تستقيم شخصيته وفي أبسط الأشياء مع وجود حتميات فمثلا الكائن الحي يبدو حرا في عملياته البيولوجية التي هي فطرية طبيعية في ظاهرها تخضع للحرية ولكن في حقيقة الأمر محكومة بالحتمية على سبيل المثال التنفس هو ظاهرة طبيعية وعملية ليس للكائن حق اختيارها أو تركها لذلك تعتبر مفروضة، ولكن في ذات الوقت ليست إكراها؛ ولا يمكن أن تكون كذلك؛ فهي تأتي على شاكلة انك تريد الحياة وتعطى لك الحياة، تفطن بدوي لهذه النقطة ووضح من خلالها مدى تأثير المحيط بكل تفاصيله في حرية الإنسان، وأكد أن الحرية تتخذ من الإنسان ركيزة لذلك تأتي الحرية فقط في إطار الكائن الحي، كما وصب قالب الحرية على الكائن الحي العاقل الذي يميز القيود من خلال ملكة العقل ويمكنه على هذا الأساس أن يختار القيام بالفعل أو تركه وهو بذلك حر حرية مطلقة لا إلزام عليه فيها.

من خلال ما تم طرحه يمكن أن نلخص أن الحرية هي قدرة الكائن العاقل الراشد على الاختيار في دائرة لا متناهية من الإمكانات المتاحة، فالإنسان في الحرية ليس محكوم بـ "إما" و "أو" فقط بل هناك رفاهية في عدم الأخذ بما هو متاح من لأساس، دون أن يكون الإنسان مرغما أو مكرها من قوى خارجية طبيعية أو ماورائية، ولأن قدرته تلك تنبع من طبيعة احتياجاته للشيء ومن كمال رشده وصحة عقله فهو شخص مسؤول عن اختياراته ومسؤوليته تكون أمام القوانين التي وضعها بإرادته لتسطر مسار هذه الحرية.

2.1. في مفهوم حرية التفكير

الحرية لتفكير كلمة واحدة من شطرين الأول وهو الحرية والشطر الثاني وهو التفكير ولضبط مفهوم الكلمة نتعرف على معنى الشطرين معا حتى يتضح المعنى المراد بها وبالنسبة للشطر الأول فقد تم التعرف عليه، ونأتي على محاولة فهم ما المقصود بالتفكير؟

التفكير كلمة من الفعل فكر وجاء في مفهومه: "يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس" (جميل صليبا، 1982، ص156) ومنه على حسب تعريف صليبا للفكر يكون التفكير هو العمليات العقلية المباشرة التي تدور داخل النفس والتي تهدف إلى فهم أحوالها، وبمعنى آخر هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى حقيقتها.

كما ويذكر صليبا أنه في كتاب التأملات يقول ديكارت عن مفهوم الفكر متسائلا في البداية " ما هو الفكر؟، إنه الشيء الذي يشك

ويفهم، ويدرك، ويثبت، ويريد، أو لا يريد، ويتخيل ويحس" (جميل صليبا، 1982، ص ص 155، 156) إلا أن الفكر ليس الحالات الانفعالية النفسية ذاتها، وإنما هو إعمال العقل في إدراك الحالات التي تحدث في

النفس فكل من الفهم والإدراك، الإثبات، والتخيل والإحساس هي حالات في النفس البشرية يمكن أن نعبها من خلال التعقل فيها وهذا ما يسمى تفكير.

أما ما يظهر في مقوله ديكارت حول الإرادة وعدم الإرادة وبالضبط حينما قال " ويريد، أو لا يريد" هو ما يفتح الباب على فكرة ارتباط الحرية بالتفكير، فالعقل في لحظة تعقله للحالات النفسية هو حر له القدرة على الفعل أو الترك، فيمكن أن يتعقل كما يمكنه ألا يتعقل، فإذا تعقل كان الإنسان واع بحلالاته النفسية، والعكس أي أنه إن لم يتعقل تبقى هناك ضبابية على حال النفس وانفعالاتها وبالتالي تبقى مبهمة غير واضحة. ولا ضير إن قلنا إن الحديث عن خلفية التفكير تلك وحقيقتها واستظهار قدرة التفكير على التعقل في ملكاته وقوانينه التي تحكمه وألياته في التعامل، وحتى في طرق التعبير والتواصل، بالإضافة إلى كونها تعبر عن جوهر حرية التفكير "إنما هو أيضا وسيلة عظيمة لتنوير سياسة الحرية في تعاطيها مع الفكر وإمكاناته وإنجازاته" (ناصيف نصار، 2019، ص 70) بمعنى أنها كذلك أداة توضح عمق ارتباط العقلانية والحرية أو ما يمكن تسميته بالتعقل الحر.

إذا التفكير باعتباره عملية من عمليات العقل يمكن أن توجه إلى النفس ذاتها بغرض إدراك أحوالها والتفكر فيها ومن ثم تحقيق الوعي بها، كما يمكن أن يوجه التفكير للإعمال فيما يحيط بالإنسان داخل وسطه أو حتى خارجه، فإن حرية التفكير هي أن يوجه الإنسان فكر للقيام بكل هذه الوظائف دون قيد أو إكراه خارجي.

ويوجز ناصيف نصار تعريفها لحرية التفكير قائلا "حياة الفكر الجوهرية هي تفاعل الفكر مع الحياة ومع نفسه بحرية ومسؤولية، في خدمة كرامة الإنسان وسعادته" (ناصيف نصار، 1986، ص 221) نستشف من هذا أن حرية التفكير هي استخدام العقل وتفاعله مع المواضيع التي يتوجه إليها بشكل مباشر مصحوبة بإرادة وقصدية نشيطة تربط الفكر بالموضوع دون أي وسائط ودون إشراف الآخرين، فالفكر لا يكون فكرا إلا إذا تحرر من الإكراه وممارسة السلطة عليه.

وفرض السلطة على الفكر في حالته الأولى. التأمل والتعقل. غير ممكن فهو في هه المرحلة حر بلا قيود، إنما تظهر إمكانية فرض السلطة والإكراه في حالة تحول الفكر من حالته الأولى إلى حالته الثانية وهي حالة إجرائية يعبر فيها الإنسان عما يدور في فكره هنا يمكن أن يواجهه صعوبات ويواجهه عوائق تحد من حريته في فعل ذلك، كما يمكن أن تكون هناك إكراه يفرض عليه في التعبير عن مواقفه، فحرية التفكير لا معنى لها دون أن ترافق بحرية التعبير اللغوي، أو النشر، أو التعبير عن طريق الأفعال كون الأفعال كذلك تحمل بصمة الفكر ، فلا قيمة للفكر الحر إن لم يتم التعبير عنه من خلال المشاركات في اداء الآراء والمشاركة في الحياة بكل جوانبها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وحتى الدينية، يبدأ الحديث عن حرية التفكير فور اصطدامها بالواقع وتطوراته، وبالأفراد وتفكيرهم وعن مدى تقبل الآخرين للآراء، ومدى مساهمتهم في تغيير وتشكيل الواقع، ومن هذا المنطلق وفي هذا الجانب خصوصا تطرح إشكالية حرية التفكير.

3.1 الخلفية التاريخية لتطور المفهوم

يعتبر نصار تراث الحداثة الغربية في مسألة حرية التفكير والاعتقاد تراث يمكن أن تتقاسمه البشرية جمعاء حتى وإن بدى أن المجتمعات البعيدة من الناحية الجغرافية عن المنطقة الأوربية لا تتفاعل بالمستوى المطلوب مع أحداث المفهوم التفصيلية إلا أنها بطبيعة الحال هي بحاجة ماسة لاستحضار ها والهاء هنا تعود على حرية التفكير.

إن المتتبع لتاريخ الفكر الفلسفي والقارئ الجاد المتعمق في أفكاره سيلاحظ بلا شك أن مفهوم حرية التفكير والتعبير هو مفهوم قديم قدم التفلسف ذاته كتطبيق بشكل خاص" فلو سئلنا أن نعدد أفضال الإغريق على الحضارة لقفزت أمامنا آثارهم في الأدب والفنون الجميلة قبل كل شيء، ولكن النظرة العميقة الفاحصة تبين لنا أن فضلهم السابع علينا هو ابتداعهم حرية الفكر وحرية المناقشة، لقد كانت طلاقة الروح هي طابع تؤملاهم الفلسفية وتقدمهم العلمي وتجاربهم في الأنظمة السياسية، فضلا عن كونها طابع عبقريتهم في الآداب والفنون، تلك الآداب التي لم تكن لتبلغ مداها الرفيع لو أن أصحابها صدوا عن نقد الحياة نقدا حرا " (ج. بيوري، 2010، ص 29) فالإغريق القدامى عبروا عن فهمهم للحياة وعن آرائهم فيها بكتاباتهم مختلفة المجالات من الأدب والشعر والفنون لكن ما يمكن أن يعتبره كنز أورثه القدامى الأجيال اللاحقة بشكل خاص هو مواقفهم الفلسفية وجراتهم في التعبير عنها وإن تحدثنا عن الجراءة في الإفصاح عن الرأي فإنه من الضروري أن نتحدث عن أول تجربة دفع صاحبها ثمن جرأته في التفكير ومحاولته تغير الزيف الحاصل حينها من خلال التعبير عن أفكاره بغرض إصلاح الواقع، الشخصية التي تركت بصمتها على مر الأزمان بموقف نبيل وأخلاقي وهي شخصية الفيلسوف الفذ سقراط الذي وقف مناهضا ومقوضا للمغالطات السفسطائية مؤمنا بضرورة اعمال العقل لأجل تغير الوقع ولم يكن ذلك إلا لأنه آمن بضرورة إعلاء صوت الحق الذي يجول داخله، كما وآمن بحرية التفكير وقيمة التعبير عن الآراء في مناقشة علنية تساهم في تصويب المسار الخاطئ، ولكن لأن سقراط وجد في زمن لم يعترف فيه بالحرية أساسا ولا بحرية التفكير باعتبارها جزءا من دائرة الحرية قوبل موقفه بالرفض وتم إعدامه في مشهد جعل كل من أتى بعده يتخوف من إعلاء صوت التفكير داخله ومواجهة المجتمع بأفكاره.

وفي مرحلة لاحقة جاء الدين الإسلامي محفزا على إعمال العقل في كثير من آياته والجدير بالذكر أن الحرية التي دعت لها نصوص القرآن الكريم لم تستثني الحرية الفكرية بل جاءت العديد من الآيات القرآنية مساندة لحرية التفكير وحرية التعبير وكذلك حرية الاختيار ومن بينها قول الله عز وجل في محكم التنزيل " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" (سورة البقرة، الآية 256) والآية الكريمة هي إحدى الآيات الكثيرة التي جاءت في نفس السياق، ويتضح من خلال الآية أن نصوص القرآن الكريم جعلت من الإيمان والكفر قضية شخصية وأعطت للإنسان الحق وكامل الحرية في تبني المعتقد الذي

يختاره بعقله وإرادته دون أي إكراه، والمنطقي أن الإنسان خلق حرا مزود بالعقل واستخدام العقل بالطريقة الصحيحة كفيل بأن يوضح له طريق الصواب من طريق الخطأ وبهذا فهو مسؤول مسؤولية كاملة عن اختياراته.

لقد عرفت الإنسانية فكرة حرية التفكير ونجاعة المناقشة في العصور الغابرة حتى وأنها تطورت جدا عند المسلمين حيث يظهر ذلك في تعدد المذاهب والفرق بل وحتى انقسام الفرقة الواحدة إلى عدة فرق مختلف وما ذلك إلا تعبيرا عن ازدهار حرية التفكير ووصولها أوجها، لكن نصار صب تفكيره في دراسته على الحضارة الأوربية ولفترة الحديثة بشكل خاص لأن في تلك الفترة بدأ انتشار المفهوم وبدأت مشروعيته واعتبرها هي التي صدرت للعالم العربي المصطلح كتسمية وكممارسة لذلك هو يقر بحقيقة أن الشعوب الغربية قد عاشت فترة من بعد اليونان والرومان حجب فيها العقل البشري وأخمدت حريته وسيطرت الكنيسة التي حرمت على الإنسان استخدام عقله، فأجبر على خوض كفاح ضدها حتى يسترجع حريته وهنا بدأ البناء الحقيقي للمفهوم على حد اعتقاد ناصيف نصار وقد ساهم في بلورته مجموعة من المفاهيم الرئيسية.

2. المفاهيم الجوهرية المتعاقبة في بناء مفهوم حرية التفكير

يهتم ناصيف نصار بطرق إشكالية حرية التفكير انطلاقا من تركيزه على الجوانب الدقيقة التي ساهمت في تبلور المفهوم والتي أعطته هذا البعد الذي نراها من خلاله اليوم، وفيما يأتي أهم المفاهيم التي يطرحها ناصيف نصار ويناقشها ويوضح كيف ساهمت بشكل كبير جدا في التأسيس والتطوير لمفهوم حرية التفكير.

1.2 الكوجيتو الديكارتي

مرحلة العقلانية الديكارتية ليست مرحلة عادية وإنما هي المرحلة التي وثق فيها الإنسان بأن هناك عصرا جديدا قد بدأ مختلفا في كل شيء وأهم شيء أنه أعاد للإنسان ثقته بعقله لذلك يعتبر العصر الديكارتي والكوجيتو الديكارتي منعطفا فكريا في تاريخ الفكر الإنساني وتظهر عظمة الكوجيتو الديكارتي في كونه خلص العقل من الاستكانة لنصوص الكنيسة والوثوق بحقائقها بل والأهم أنه أعلن عن أولوية الفكر على كل شيء بشكل راديكالي مقدما في ذلك حجج عقلية تثبت قدرة العقل على الوصول للحقائق وأنه ليس بحاجة إلى وصاية خارجية ما يعني ضرورة الاعتراف بحقيقة انتصار العقل والاستناد عليه للوصول لأي حقائق أخرى.

إذن أصبح العقل هو السيد وهو الوسيلة الموثوقة للحقيقة والحامي للحقائق عموما من التأرجح على حبال الكذب أو المزاجية ومن أي تبعية ووصاية خارجية؛ حدث هذا بفضل الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت " ففي منظور حرية التفكير، ليس الأهم هو عظمة الكوجيتو، بل مسؤولية الكوجيتو أنا أفكر إذن أنا مسؤول، لا عن كوني مفكر عما افعله بكوني مفكرا، ومسؤوليتي دائمة بدوام كوني مفكر " (ناصيف نصار، 2019، ص 76) يرى نصار أن ديكارت لم يكتفي بتفكيك الحقائق المتوارثة من الأقدمين

وإعلان التمرد عليها بالشك إنما تبنى فكرة المسؤولية بعد توصله لليقين، والمسؤولية ماهي إلا إقرار بالحرية المطلقة في تبني المواقف والتعبير عنها لذلك تجعل الإنسان أمام نتائج تفكيره بشكل مستمر فالحرية في إصدار الأحكام تتبعها مسؤولية اتجاهها، فطالما هناك تفكير فبالضرورة هناك مسؤولية ، لذلك وصلت الفلسفة العقلانية مع ديكارت إلى مرحلة الرشد.

بالإضافة إلى هذا فنصار يجزم بأن التفكير في ذاته عظمة يبقى الإنسان العاقل مسؤول عن دوامها، فالمسؤولية تتعدى إلى كون الفرد مسؤول عن نتائج التفكير إلى أنه مسؤول عن دوام التفكير في مشكلات الواقع ودوام البحث فيها ودوام لإعلان عنها ومشاركة وجهات النظر مع الآخرين للك تتسع دائرة المسؤولية كلما وعى لإنسان أنه مفكر.

لقد كانت ثقة ديكارت كبيرة في الفكر وكان وتحمل مسؤولية أنه مفكر ومن هذه المسؤولية ترجمة الفكرة لاحقا على شكل منهج يستقصي به الحقائق وفي ذلك يقول" ولكني لا أخشى أن أقول ما أعتقد من أنني كنت كثير التوفيق، وإن ألفيت نفسي منذ الحداثة في بعض الطرق التي قادتني إلى أنظار وحكم، ألفت منها منهجا، به يبدو لي أن عندي وسيلة لزيادة معرفتي بالتدرج، وأن أسمو بها قليلا إلى أعلى درجة يسمح ببلوغها ما في عقلي من ضعف، وما في مدى حياتي من قصر" (رونيه ديكارت، 2000، ص ص 71،72) وإن كان المنهج عند ديكارت هو الطريقة التي تساهم في الوصول إلى الحقائق فهو بالتأكيد كذلك وسيلة في نبش الكثير من القضايا وتوسيع دائرة المعارف.

يرى ناصيف أن ثورة ديكارت جاءت " كثورة لتحرير الفكر من كل أشكال الوصاية والقمع والاستلزام بالضرورة تفسيرا واحدا ومطلقا لماهية الفكر وكيفية اشتغاله ومداه، أن ثورة الكوجيتو مشروطة بمسؤولية الكوجيتو، أي بمواصلة التفكير فيه وتطوير إنتاجيته وإغنائه بكل ما يتولد تبعا في اشتغاله من مناهج ومذاهب وتطبيقات، في مسارات وسياقات لا يمكن لاحد أن يتنبأ بها ولذلك، فهي لا تزال تعنينا اليوم ونحن نواصل التفكير في حرية التفكير على مقتضى أوضاع عصرنا، كما عنت الأجيال التي قرأت ديكارت وتشبعت منه قبلنا وأخذت على عاتقها، تباعا أن تسهم في إثراء حرية التفكير" (ناصيف نصار، 2019، ص 79).

يبدو من ثقل الكلمات مدى إقرار نصار بعظم الخدمة التي قدمها ديكارت من خلال الكوجيتو للإنسانية، الذي جعل الإنسان سيد على المعتقد بعقله لا العكس، كما يشعر نصار كذلك بعظم المسؤولية في المحافظة على هذا الإنجاز فقد تطلب الأمر قرونا من الزمن في الكفاح ضد ظلمات العصور الوسطى وسلطة الكنائس لكي يتحقق أخيرا الانتصار للعقل وتظهر حرية التفكير وكي يقتنع الناس أن كل الخير في إطلاق الإنسان لأفكاره ومحاولة مناقشتها، لذلك وجب حمايتها من خلال حماية العقل من ألا يقع مرة أخرى في لعنة الانغلاق، والاستكانة، والوصـــــاية، والسبيل إلى ذلك لا يكون إلا بالإيمان بكل ما سبق وكذلك تجديد التفكير في الواقع الذي نصطدم به بشكل مباشر ونزكي هذا التفكير بالإفصاح عنه وبإيصال آرائنا وفتح مجال للمناقشة والحوار وذلك ما يمكنه أن يثري حرية التفكير،

"وهكذا يتبين أن مسؤولية الكوجيتو تقوم على أربعة أركان: واحد يتعلق بقرار التفكير وتبعاته، وثان يتعلف بموضوع التفكير، وثالث يتعلق بطريقة التفكير، ورابع يتعلق بنتائج التفكير، وهي الأفكار على أنواعها وما يترتب عليها عمليا. ولا يخفى أن ترابط هذه الأركان الأربعة يدفع الأنا المفكرة إلى الابتعاد عن المزاجية والتعسف والخفة" (ناصيف نصار، 2019، ص 78)

من خلال ما طرح نستشف أن ناصيف نصار يرى أن ديكارت بقدر ما يعلن مساهمته في تمييز العقل عن باقي القدرات التي تفضل الاستكانة لما يملى عليها، وحول العقل من عضو في الجسد إلى فاعلية، وأعطى مساحة لا محدودة للفكر للخوض في مظاهر الحياة وفي التأمل فيها وإظهار نواقصها بغرض إصلاحها، فتحرير العقل كان له دور فعال في تطوير الشعوب وانفتاحها وربما أكثر ما ركز عليه ناصيف هو المسؤولية التي يجب أن يحملها اليوم النخب من المثقفين وضرورة مواصلة التفكير والتعبير لأن المجتمعات دائما في سعي مستمر نحو التطور والازدهار.

كان نصار دقيقا جدا في فهمه لقيمة الكوجيتو الديكارتي الذي لا يقدم نفسه على أنه الحقيقة وإنما يقر مسؤوليته الكاملة عن الحقيقة، والذي لا يفكر بشكل مجرد بعيد عن الواقع ،وإنما هو في تفاعل مباشر مع الواقع، وحرية التفكير تستدعي الاعتراف بما نفكر وهذا ما ظهر جليا في قول ديكارت "أنا أفكر" معلن للعالم على أنه مفكر مستشعر حريته في ممارسة التفكير ،وهذه الأنا التي يتحدث عنها ديكارت ليست أنا خاصة به وإنما هي أنا تشمل كل الأنوات التي من شأنها أن تمارس التفكير والتعقل وللجميع الحق في الإعلان عما يفكر فيه، ومادامت المسؤولية تلاحق المفكر فهي تلاحقنا جميعا، لذلك الكل مفكر مسؤول أمام تفكيره ومسؤول عن إعلان نتائج تفكيره.

2.2. مطلب التنوير

تبسيطا لمعنى التنوير فهو من النور الذي يقصد به الشعاع الذي يضيء مكان بعد أن كان مظلما، وهذا بالطبع يتطلب وجود العنصر الذي من شأنه أن يكون باعثا لذلك النور. وفي مجال الفلسفة من منطلق إيمان الفلاسفة أن هذا النبراس هو العقل، جاهدوا على إعادته سيدا لينير حياة البشرية ويخرجها من عصر الظلمات.

رشح ناصيف نصار ان السبب المباشر الثاني الذي قامت عليه حرية التفكير هو مطلب الأنوار كون أن الكوجيتو الديكارتي في ذاته لا يكتمل دون أن يرتبط بالأنوار وفي ذلك يقول" إذا كان الفكر يدرك ذاته ويدرك أنه يدرك ذاته، ويدرك أن إدراكه هذا هو المدخل إلى فحص ما لديه من أفكار، وبالتالي إلى تنظيم شبكة علاقاته مع عالم الأفكار، ومن خلاله مع عالم الأشياء فإن إدراكه هذا هو المدخل إلى فحص ما لديه من أفكار، وبالتالي إلى تنظيم شبكة علاقاته مع عالم الأفكار، ومن خلاله مع عالم الأشياء، فإن نجاحه في مهمته المزدوجة يتطلب أن يمتلك رؤية لذاته أكثر دقة من تلك التي توافرت في شروح ديكارت، تنوير الأذهان يعني، إذن، إلقاء الضوء على أفكاره، وفي الوقت نفسه إلقاء الضوء على كيفية اشتغالها، فلا عجب، والحالة هذه، أن يقود الاضطلاع بمسؤولية الكوجيتو إلى فتح أبواب

النقاش حول ماهيته واشتغاله على مصاريعها" (ناصيف نصار، 2019، ص 80) يمكن القول هنا أن الفكر أصبح سلطة في ذاته من ناحية إدراكه وسلطة على ذاته من ناحية إدراكه أنه مدرك، ومسؤول على تنظيم الأفكار، هذه الأخيرة التي لا مناص لجزء منها أن يرتبط بعالم الأشياء ، وعالم الواقع، لأن الجزء الآخر يهتم بم وراء الواقع ولا يخلو الأمر فيما يخص هذا الجزء أن يكون هو كذلك مرتب بحيث ينتج عنه معرفة منظمة، والمهم في هذا القول هو إقرار ناصيف نصار بأن عملية الإدراك والتعقل عموما لا يمكن أن تتنصل من مطلب التنوير بمعنى أن يلقي المـ ـتعقل نورا على أفكاره وعلى كيفية عمل هذه الأفكار لذلك فحرية التفكير تتطلب ما هو أكبر من إدراك وإعمال للعقل، فالعقل الذي يعمل بشكل مظلم إن صح القول مثله مثل العقل المغيب نهائيا عن عملية التفكير، لذلك الجرأة في إعمال العقل كما ينادي كانط هي جرأة تكمن في إنارة مسالك العقل وأهدافه المرجوة.

مطلب التنوير إذن كان له إرهاصات في الفكر الإسلامي لا شك في ذلك، لكن فهمه لم يكن أبدا في مستوى استخدامه هذا ما وضحه ناصيف نصار من خلال التطرق لمعالجة الموضوع عند الغزالي كأنموذج في كتابه "مشكاة الأنوار" حيث يرى أن الغزالي يحاول تقسيم مستويات النور حسب مستويات البشر ليصبح النور كلفظ عند العامة، والنور كآلية عند الخواص، والنور كفاعلية عند خواص الخواص ، ويتضح ذلك من خلال مقارنته بين العقل ونور العين ليرتفع نور العقل على نور العين، لكن نصار يجزم أن تزكية الغزالي لنور العقل ماهي إلا انتصار للا عقل الذي هو فضاء أهل العرفان ويتضح ذلك في قوله: " إن تحليل حقول الدلالة في نص مشكاة الأنوار يفضي إلى أن الغزالي يستعمل مصطلح العقل، على اضطراب، بمعنيين على الأقل: معنى واسع ومعنى ضيق، والمعنى الواسع هو المعنى المرادف للروح أو التنفس، والمعنى الضيق هو المعنى المتمثل في القدرة على إدراك القضايا الضرورية" (ناصيف نصار،1986، ص 202) فالمعنى الأول أو الذي هو مرادف للروح هو المسؤول عن بناء الإدراكات وحدس الأمور، أما المعنى الثاني الذي يعنى بالقضايا الضرورية فهو برأي نصار يقصد بها المعرفة التي يتلقاها الإنسان دون وسائط أو ما يصطلح عليه بالمعرفة الكشفية أو المعرفة القلبية، والغزالي حسب ناصيف يوسع دائرة الفلسفة الإشراقية اللا عقلية ولا يهتم بالتنوير العقلاني لذلك استبعد نصار أن تكون فكرة التنوير بما ترمي إليه من غاية قدوجدت فيما قدمه الغزالي.

والملاحظ أن نصار كان يبحث عن الحرية وتطبيقاتها في فكرة الأنوار عند الغزالي ولم يجدها لأنها وإن بدى للوهلة الأولى أن هناك حرية حقيقية من خلال اعترافه بالعقل ومكانته إلا أن المتعمق في ما يشرحه الغزالي عن مهمة العقل سيفهم أنه لا مكان للحرية في ما يقول، وذلك لأن الكشف معرفة قلبية دون جهد ودون إدراك للإدراك، أو دون توجيه وتنوير لكيفية عمل الأفكار ولا لعلاقاتها بالعالم الخارجي، ومنه يمكن القول المعرفة الإشراقية هي معرفة قلبية نورانية، بمعنى أصح هي هبة ربانية لخواص الخواص من الناس وهؤلاء الخواص لا يملكون حق رفض هذا الكشف إنما يسلمون به وحسب، من هذا المنطلق فإن التفكير هنا ليس حرا وبالتالي لم يصل لمرحلة التنوير بعد.

على الجانب الآخر يطرح ناصيف مقاربة كانط لموضوع الأنوار من خلال دراسته لما جاء في مقالة "ما الأنوار" ويؤكد أن كانط كان واضحا في تقديمه لمفهوم الأنوار، وهذا ما جاء بالفعل في بداية المقال حيث يقول كانط: " إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير وإن المرء نفسه مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصا في العقل، بل نقصا في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير. تجرأ على أن تعرف كن جريئا في استعمال عقلك أنت ذاك شعار الأنوار"(امانويل كانط، 2005، 85) بهذا المعنى يصبح الإنسان هو المسؤول عن الظلام الذي يعيش فيه، وهو من يصنع عجزه بنفسه، فهو بحاجة إلى إقامة ثورة ضد نفسه ورفض الوصاية الخارجية التي توجه تفكيره، والإنسان العاقل برأيه هو القادر على الوصول إلى الحقيقة دون أن يحتاج إلى توجيه من سلطة تفرض عليه، وذلك لا يكون إلا إذا نفض الغبار عن نفسه وتسلح بالشجاعة في التفكير وفي بناء إدراكاته دون أن يتم توجيهه من الخارج، فتجرأ واستخدم عقلك تعني تجرأ على استغلال حريتك في التفكير وهذا ما يسمى بالأنوار "إن تحدي الحرية تحد أساسي، بمعنى أنه يتناول النظرة إلى ماهية الإنسان ونوع الحياة الاجتماعية بكاملها (...) فالاستجابة له شرط لرفع التحديات الأخرى كلها بأحسن ما يمكن من الفاعلية والعدل والجدوى" (ناصيف نصار، 2003، ص 41). فتحدي الحرية يحتاج إلى جرأة في تخطي جميع العوائق الاجتماعية، والسياسية، الدينية، الإثنية التي يمكنها أن تقف كحاجز في وجه الإنسان الذي يصر على تحرير تفكيره.
وجدير بالذكر أن إدراك كانط لمكانة العقل ليس تأليه له بل هو يعرف جيدا أن العقل آداه توصل الإنسان إلى الحقيقة وهي آداه مختلفة عن بقية الأدوات ولها مرتبة خاصة لذلك يجب أن تكون حرة حتى تكون الحقيقة التي يتم الوصول إليها صادقة واضحة وعقلانية، من هذا المنطلق كان لكانط وجهة نظر في استخدام العقل فهناك الاستخدام العام، كما وأن هناك الاستخدام الخاص ويقصد به أن استخدام العقل تحت سلط أعلى من الإنسان ومثال على لك هو أن يفكر الإنسان داخل قوانين المصلحة الحكومية التي يعمل بها حيث أن مخالفة القوانين تلك قد تورطه لهذا فعقله ليس حر حرية كاملة كونه موجه من طرف القانون، ومحكوم بقوانين وواجبات، أما الاستخدام العام فهو خاصة مميزة للعلماء الذين ينحتون نظريات جديدة، ومعارف مختلفة يطرحونها أمام جمهور ن الناس " فالحرية الفكرية الملائمة للأنوار هي إذن حرية الأفراد كعلماء، يثبتون، آراءهم كتابة، يواجهون بما يكتبون جمهورا يقرأ، أي يهتم بنتاج الفكر ويتابع ويستوعب ويحاسب، وذلك في جميع الميادين" (ناصيف نصار، 1986، ص 212).

إذن حرية التفكير كانت ولا تزال مرتبطة بشكل ضروري بالتنوير الذي فتح آفقا للفكر من خلال فهم حاجة الفكر إلى الحرية فلا قيمة للتفكير دون حرية ومن بين أوهام الحرية التي وقع فيها الغزالي حيث جعل العقل والمعرفة يستند إلى اللحظة الإشراقية التي تعد هي ذاتها إكراها مفروض على العقل وجب التحرر منه، والمعني بهذه الحرية على حسب رأي كانط أولئك العلماء والمفكرين الذين يسعون

بجد وراء الحقيقة وإعلاء صيتها ، لأن حرية التفكير ليست فقط ألية لإحساس الإنسان بكنهه بل هي أبعد من ذلك إنها لمعالجة المشكلات وتقديم حلول لها، والتنبؤ بما يمكن أن يحدث وبذلك يتجنب مشكلات يمكن أن تواجه الإنسان لذلك فهي مرتبطة بالتقدم والرقي كما يؤكد ناصيف نصار .

3.2 فاعلية النقد وضرورة الاختلاف

النقد هو إبراز محاسن الشيء وعيوبه وهذا بالتأكيد لا يحدث إلا بعد أن يلم الناقد عن وعي بكل جوانب الموضوع أو جوانب الظاهرة، بداية النقد الحر كانت في حقبة ما بعد عصر الأنوار، وأعتبر السمة المميزة لتلك المرحلة، ولكانط دور كبير في إبراز قيمة النقد من خلال مؤلفيه نقد العقل العملي ونقد العقل الخالص "فلسفة كانط تجاوزت استخدام العلم الزاخر بالوعود لنقد الرؤيا الدينية للعالم والمؤسسة الدينية والأخلاقيات التقليدية، وجعلت من العلم نفسه موضوعا للنقد، لا بطريق شيطنته، بل بطريقة تقديره حق قدره والتقصي عن مضمونه وشروط إمكانه، وهذا مفاده، تأسيس على الكانطية، أن النقد الذي يتطلبه الفكر التنويري لا يرتد إلى صيغة النقد بالعلم لمعتقدات، الناس وآرائهم، بل يتناول العلم نفسه" (ناصيف نصار، 2019، ص 88) ويعني هذا أن كانط لم يضع العلم مقابل الدين ولم يبني نقده للدين على ما يقدمه العلم من محسوس نفعي، فقد سلط النقد على العلم ذاته وذلك حتى يتمكن من النبش في التفاصل، ومن ثم تقدير العلم حق قدره، فالرجل لا يستثني العلم من النقد كما لا يقدمه على الاعتقاد الديني وسواه، إنما مارس النقد على كل شيء، ولقد ساهم النقد الكانطي في تعميق مفهوم النقد عموما وإنتشار النزعة النقدية عند العديد من الفلاسفة والمفكرين أمثال هيغل وماركس.

اعتبر ناصيف نصار النقد من المفاهيم المركزية التي ساهمت في بناء مفهوم حرية التفكير، حيث يعد النقد آلية فاعلة جدا في تغيير الواقع وحتى في تغيير منظومة الحياة الاقتصادية أو السياسية لدولة ما، فبنقد الأنظمة السياسية قامت الثورات وتغيرت الأنظمة، ونقد الأنظمة الدينية المتعصبة والمهيمنة أفرز تحريرا للعقل وإسقاط لسلطة اللاهوت، ونقد الأنظمة الاقتصادية أدى إلى ظهور أنظمة أخرى، ويتضح ذلك من خلال محاولة كارل ماركس التي سعت إلى الكشف عن البنية التحتية التي تهتم بمؤسسات الدولة والبنية الفوقية التي تتخذ العدل مرجعا لها، وكذلك محاولة إنجلز وآدم سميث وغيرهم من أصحاب الاجتهادات النقدية الجادة التي أثمرت عن أنظمة اقتصادية جديدة.

تتبع تاريخ النقد يضعنا أمام حقيقة مفادها أن النقد دائما ما يؤدي إلى تغير ما كان سائدا، ودائما ما كان النقد الإيجابي سبيلا للتطور وللتقدم والرقي فبالإضافة إلى أن الشعور بالمسؤولية اتجاه التفكير في الواقع ومشكلاته الذي يتطلب حرية للتعبير وإيصال الآراء وتخليص العقل من الأوهام لا يكون إلا بالنقد الذي يعري الأصول وينبش في حقيقة الثوابت ويزعزع ضلال الحقائق باحثا عن الحقيقة ذاتها، وهذا أهم ما تقوم عليه حرية التفكير وحتى هذه الحقيقة المتوصل إليها بالنقد لا ينبغي أن تستبعد من دائرته على أنها مطلقة بل يجب أن تكون كذلك تحت مشرط النقد، كما وأن النقد ذاته يخضع للنقد

ويؤكد ناصيف على ضرورة احترام أنماط التفكير حتى لا يحكم على حرية التفكير بالموت (ناصيف نصار، 2019، ص 91) تكمن قيمة النقد في اعتباره ألة الفكر للبحث في الأصول، وتحليل المواضيع، وفي استنتاج حقائق وإعطاء أحكام، من ثم خلق مجال أوسع للتفكر والحركة النقدية الراديكالية تساهم في تجديد التفكير وتوسيع آفاقه.

النقد مبدؤه والاختلاف، والاختلاف هو اللا تشابه، والتفكير على نهج الاختلاف هو التفكير البعيد عن منطق التطابق أو كما يقدمه جيل دولوز من خلال قوله: "يعني الابتعاد عن الهوية المفترضة " (دولوز، 2009، ص30) ففكرة أن الأشياء متماثلة والموجودات كذلك متماثلة هي فكرة تحد من ديناميكية الحياة، وتخلق نوع من الجمود الفكري والسكون المعرفي ومن ثم تصبح الحرية بلا مدلول إجرائي وبلا قيمة حقيقة، فلو أن كل الأشياء متماثلة لما كان للنقد مكان.

ومن هذا المنطلق تعتبر حرية التفكير مرتبطة في الأساس بفكرة الحق في الاختلاف الفكري، وكون "حرية التفكير جزء من الحرية والحرية جزء من حقوق الإنسان الطبيعية والمقدسة والهدف لكل جماعة سياسية إنما هو المحافظة على هذه الحقوق، وعلى هذا الأساس بني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" (ناصيف نصار، 2019، ص 99) ومما لا شك فيه أن الاختلاف هو سنة الحياة، فلكل فرد أو جماعة حق تبني الاعتقاد الذي تؤمن بيقينيته، كما من حقها مساندة الرؤية السياسية التي ترى فيها البراديجم الذي يمكنه أن يخدم الفرد والجماعة والدولة، فما دامت الحرية قيمة إنسانية من حق الجميع التمتع بها فإن من حقهم كذلك إعمال عقولهم وإعلاء أصواتهم والتعبير عن قناعاتهم، وكذلك إظهار اختلافهم والاعتزاز بتنوعهم وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك تماثل وتطابق في طريقة التفكير وإنما هناك فسيفساء فكرية لا يمكن إنكارها ولا يجوز إقصاؤها، والتباين حقيقة لا يجرؤ أحد على تضييق نطاق الحرية فيه وهذا بمقتضى القانون العالمي لحقوق الإنسان، الذي يؤكد على أن لكل شخص حرية التفكير والتعبير ، والتغيير في المعتقد والديانة حسب قناعاته.

يتضح من هذا أن ناصيف نصار يؤمن بفكرة الاختلاف بين البشر وبضرورة الاعتراف به وربما يمكن القول إن كنه هذا الاختلاف هو حرية التفكير، حيث أصبح التفكير كالبصمة التي لا يمكن أن تتواجد عند شخصين وإن كان هناك تقارب في الرؤيا فمن غير الممكن أن يكون هناك تطابق تام ولا بد من وجود اختلافات وإن كانت طفيفة.

كما ولا يجب أن نغفل أن الاختلاف هو سر الفضول العقلي الذي يدفع الإنسان لإطلاق العنان لأفكاره، وناصيف نصار يجعل من الاختلاف عذرا للتواصل البشري، وفتح باب الحوار والمناقشة، لأجل تحري الحقيقة، فإن كان الاختلاف ضرورة وجودية فهذا لا يعني أن كل صاحب فكرة مختلفة هو صاحب حقيقة، فقد تكون فكرته تلك تعود مرجعتها إلى التأثر الأيديولوجي والتعصب المذهبي لذلك كان الحوار النقدي الجاد هو أحد أسباب تفكيك تلك الأيديولوجيات وتهذيب ذلك التعصب، من خلال الخضوع لمنطق الحجة " لا بطريق الفكرة الواحدة المفروضة على الجميع من أجل الانتصار بل بطريق

التواصل المفتوح القائم على قواعد واضحة، وذلك لأن التواصل، كتواصل مقصود ومدروس وهادف، كفيل بأن يمنع جدلية الاختلاف والتماثل من الانفجار والانقلاب على طرفيها" (ناصيف نصار، 2019، ص 103)

اعتراف نصار بالاختلاف ما هو إلا نفي للتمثل المميت لحركية الفكر وقدرته على الإبداع لكنه في الأن نفسه يدرك حق الإدراك أن الاختلاف قنبلة موقوتة قد تؤدي الى الانفجار في أي لحظة مسببة أرزمه طائفية أو تناحر ثقافي يمكن أن يهدد الإنسانية ويتسبب بالإضافة إلى تصادم الحقائق ككل لذلك توجه إلى تعين منطق المناقشة كنقطة تواصل تطرح في رحابها الأفكار المختلفة ويتم الاحتكام فيه القوة الحجة القادرة على الإقناع.

3. حرية التفكير بين العوائق والحدود

مما لا شك فيه أن المبالغة في الانتصار لحرية التفكير والتعبير دون مراعات لوجود الآخر قد تؤدي إلى التصادم وربما إلى أكثر من ذلك ولهذا خط ناصيف نصار لحرية التفكير مجموعة من الحدود يتقيد بها الإنسان حتى لا يؤذي غيره، وفي ذات الوقت لا يحد من حقه في التفكير، ولكن قبل أن نتطرق للحدود رأينا أنه من الضروري التطرق للعوائق التي يواجهها الإنسان والتي يمكن أن تحد حريته الفكرية.

1.3 عوائق حرية التفكير

العائق هو المانع أو العقبة التي تحول وحدوث الشيء؛ وبالنسبة للعائق في حرية التفكير فهو مجموعة من الظروف التي تأثر على الفكر فتمنعه من تبني المواقف واستنطاق الحقائق بحرية، بمعنى أن هذه العوائق لها تأثيرها على الأفكار التي ينتجها العقل فتصبح بمثابة الموجه له وتصبح الأفكار الناتجة ليست أفكار حرة وإنما نتيجة مؤثر خارجي حال بينها وبين الحقيقة.

ومنه فإن الحديث عن مطلقيه الحرية الفكرية تصبح بمثابة فكرة مثالية خاصة وأن كما سبق القول حرية التفكير لا معنى لها في حال عدم ممارستها والتعبير عنها واقعيا، لذلك كان من الضروري التعرض بالشرح لهذه العوائق التي تحد التفكير وبالضرورة تحد تقدم الإنسانية كون التفكير هو المؤثر الفعلي في سيرورة التقدم وأي عرقلة له هي عرقلة لذلك التقدم.

يقول نصار: إن ممارسة الحرية أصعب من ممارسة نقائضها وأضدادها، والوعد بالوصول إليها بواسطة طرق غير طرقها، إنما هو تسويف ومتمويه أو استغلال للجدلية الاجتماعية التي لا تنفصل ممارسة الحرية عنها، وما يصح عن الحرية بوجه عام يصح على الحرية الفكرية بوجه خاص" (ناصيف نصار، 1986، ص 176) وهذا يعود إلى كمية الإكراهات المفروض على الإنسان وكذلك المعوقات التي تحيط بالإنسان عموما وبالفرد العربي بشكل خاص حيث ما يوجد فعلا هو مغالطات في ممارسة الحرية ولا توجد حرية حقيقية، فيعطى للفرد ما يراد له أن يأخذ، لا ما يريده هو كما يوجه بتأثير إلى الاختيار وهذا بطبيعة الحال يتنافى مع مفهوم الحرية وما يصدق على الحرية عموما يصدق على حرية التفكير،

هذه الأخيرة القائمة على إعمال العقل والتدبر والتفكر من ثم مواجهة المجتمع بهذه الآراء لكن حتى ذلك غير متحقق فالعقل محكوم بأفكار تمنعه من أن يكون حرا.

تجدر الإشارة هنا لذكر هذه المعيقات أهمها هو الأيدولوجيا التي تؤثر بشكل بير على العقل، و "إن العقل بالنظر إلى ما ترومه الأيديولوجيا محكوم بأحكامها، ومتجسد فقط بأصولها، وعلى ألا يبرح ما حددته له الأيديولوجيا، كما يجب أن يتقيد بشروطها ويدور في فلكها ويسبح في فضائها بكل تفاصيله" (جلول مقورة، 2015، ص 168) والأيدولوجية في عموم معناها هي مجموعة من الأفكار التي تتبناها جماعة ما وتنظر من خلالها إلى العالم، لذلك تبقى تلك الجماعة حبيسة تلك الأفكار وتأثر عليها في رؤيتها للعالم أيا كانت ، والفرد باعتباره جزءا من الجماعة يبقى كذلك عقله مرتبط بأفكارها يؤمن بما تؤمن به، وينبذ ما تنبذه، فالعقل هنا ليس حر لا في تبني مواقفه ولا في تحديد اختياراته ولا في التعبير عنها، فكل تعبير عن أفكار مغايرة لما تؤمن به الجماعة هو بمثابة شذوذ منبوذ فلا مجال إذن للخروج عن القطيع ولا لعيش الحرية الفكرية بمعانيها الحقيقية، فالأيديولوجيا لا تعمل إلا على تحقيق أهدافها وتأويل كل شيء مع ما يناسبها وتسعى جاهدة لخدمة مصلحتها

وهذا ما يبقى الفرد مسجون في إطار ما تؤمن به غير قادر على إطلاق صراح عقله " وإذا كانت الأيديولوجيا العربية بكل أطيافها وألوانها قد راهنت على العقل باعتباره مفتاح التغيير، فإن رهانها كان رهانا مبطنا لأنه لم يتجه إلى العقل إلا بوصفه يعمل في سبيل تحقيق البعد الأيديولوجي، وبالتالي فخطاب الأيديولوجيا للنهضة من خلال العقل هو خطاب مخادع" (مقورة جلول، 2015، ص 168) والفكرة الأيديولوجية تحكم حتى المثقف العربي لأنه أمام إمكانية وقوعه في فخ الأيديولوجيا، وعلى أساسها يناقش قضايا واقعه بمنطق ما يوجهه من أفكار فحتى وإن قدم حلول تبقى حلول لا تخدم الواقع المعاش بل هي حلول نظرية مفارقة تماما للواقع تهتم فقط بمصالح ذلك الانتماء الأيديولوجي أيا كان سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا أو غيره ولا مجال للخروج عنها وأصبحت هذه هي الدائرة المفرغة التي يدور فيها المثقف العربي.

كما وان حرية التفكير تفقد فاعليتها إذا ما غلف عقل الإنسان التفكير المتعصب والتعصب حسب ناصيف نصار هو "مغالاة في توكيد الانتماء إلى جماعة معينة والارتباط الشعوري واللاشعوري بها، إنه في حقيقته العميقة، تحويل الانتماء إلى جماعة معينة والاعتزاز بها إلى استعلاء أو انغلق مصحوب بكراهية للآخرين أو احتقار لهم" (مجموعة من المؤلفين، 1993، ص 195) ويفهم من هذا أن التعصب هو ذلك التشدد اللا مبرر للرأي سواء كان صحيحا أو خاطئا، مع ارتفاع احتمال أن صاحب الرأي يرى نفسه دائما على حق، وإن اقتنع في قرارة نفسه أنه ليس على حق فهو لا يعترف ويضل متمسكا برأيه.

فإذا كانت لأيديولوجيا هي مجموعة من الأفكار التي تتبناها جماعة معينة وتحتمي بها في تبني آرائها تفتح مجالا للتفكير ضمن إطار هذه الحدود التي تقررها مصلحة العقل المؤدلج، وبالطبع دون الخروج

عنها، غير أن ما يميزه أنها تملك قابلية التحاور والمناقشة وربما لها قابلية الاقتناع أو الإقناع. فإن التعصب على عكس ذلك تمام كون مساحة حرية التفكير فيه تضيق حتى تكاد تنعدم لأن التعصب شيء من التفكير الأناني المغلق على ذاته عند الفرد داخل الجماعة ولا فرق بين درجات تعصب سواء تعصب فرد أو تعصب جماعة لأنه في نهاية الأمر هو تعصب على ضلالة، وحقيقته واحدة هي رفض نمط الديناميكية الفكرية والمحافظة على الستاتكية الجامدة جدا والرتابة القاتلة للتجديد، فلا مجال للحوار ولا مجال للاقتناع أو الإقناع.

ويمكن أن نبسط ذلك بالقول التعصب بمثابة تبني مبدأ يؤمن به الفرد سواء كان صحيحا أو خاطئا فلا هو يفتح مجال لطرحه ضمن دائرة النقد ليتعرف على صدقه أو فساده، ولا هو يعرضه للمقاييس العقلانية للتأكد منه، ولا هو يفتح مجالا للمناقشة ليرى مدى تفاعل الآخرين معه، ومن ذلك يمكن أن نحكم على التعصب بالقول أنه الإيمان الأعمى بفكرة معينة وهذا الإيمان قاتل لحرية التفكير " فالفرد المتعصب يميل إلى مجموعة قليلة وبسيطة من الآراء وذلك إما لقصور في حركة تفكيره، وإما لعدم حاجته في وضعه العملي إلى آراء كثيرة ومعقدة" (مجموعة من المؤلفين، 1993،ص 207) يمكن أن يكون هذا التقوقع هو تعبير عن ما يسمى بالقصور العقلي في التفكير، وتحديد سقف الحرية، ومن ثم تحديد مستوى التطور الذي يمكن أن تبلغه الأمة التي يعاني أفرادها وجماعاتها من التعصب، والإصرار على ذلك هو أحد معوقات التفكير الحر الذي يسعى إلى التقدم وتحسين الحياة وتطويرها في جميع مستوياتها كما ويعتبر تضييق على التواصل الذي يمكنه أن يضفي طابع اجتماعي وطابع ثقافي ويفتح أفق أمام التفكير لاستيعاب الآخرين.

وبالنسبة لتضييق السلطة على حرية الفكر فذلك أمر مخالف وأكثر خطورة وإنتشار وإن عاد الأمر للبحث في معنى السلطة عند نصار سنجده يعرضها من خلال قوله: " السلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرا ومأمورا، آمرا له الحق في إصدار الأمر إلى المأمور، ومأمورا عليه واجب الطاعة وتنفيذ الأمر الموجه إليه (ناصيف نصار، 1986، ص 08) إن ممارسة السلطة في حدود ضوابط القانون يجعل منها سلطة شرعية أما في حال تماهي سلطة الحاكم مع سلطة القانون أو سلطة الدولة، في هذه الحالة يسعى الحاكم إلى تسخير سلطة الدولة والقانون لخدمة أغراضه، هنا بالذات تحدث انتكاسة في ضبط الحدود ويصبح السائد هو التسلط لا السلطة، والتسلط يتعدى دائرة إصدار الأوامر إلى دائرة فرضها على الآخرين من أجل خدمة المصالح الشخصية، ومن ثم كل ما يتوافق مع الرؤيا الشخصية له يعتبره حق وما يختلف معها يعد باطلا وقد يصل إلى أن يحرم الآخرين حق التعبير عن آرائهم التي لا تتماشى مع رأيه فتتحول السلطة لخدمة الأيديولوجيا أو إلى أكثر من ذلك؛ أي أنها تتحول إلى تعصب منغلق وتضيع بين محاولة إرضاء ومسايرة لهذا أو لذاك ، فتختفي الحريات عموما وحرية التفكير بشكل خاص لذلك دعت الضرورة إلى البحث في حدود حرية التفكير لا من باب تقييدها ولكن من باب تقنينها.

2.3- حدود حرية التفكير

عندما نتحدث عن الحدود في جملة تحضر فيها الحرية قد يبدو للوهلة الأولى ان الأمر فيه تناقض فالمعروف أن الحرية تحمل معنى المطلقية؛ بحيث يتصرف الحر كما يشاء ووقت ما يشاء، ولكن الإنسان الحر لا يعيش في عالم منفرد فهناك من يشاركه هذا العالم وإن ترك المجال للمطلقية سيحدث تصادم في المواقف وضياع للحقائق، ولا نبالغ إن قلنا إن فكرة الأنانية ستقود العالم إلى حرب عظيمة وكذلك بالنسبة للحرية في التفكير تأتي بذات المعنى كون الجانب التعبيري عن هذه الحرية فيه ما يمكن أن يتسبب في تضارب وتصادم مع الآخرين، لذلك الصواب هو في اعتماد قاعدة "لا إفراط ولا تفريط" فهي قاعدة تستدعي التعقل في كل شيء "ذلك لأن حرية التفكير كغيرها من الحريات الطبيعية في الحياة الاجتماعية، حق مقدس ، ولكنه غير مطلق، فالحد على حرية الفرد معترف به مع الاعتراف بأن حق مقدس له وفقا لما هو معروف في الأدبيات الليبرالية التي تعلن بصور شتى أن حرية الفرد تقف حيثما تبدأ حرية الآخر ، أو عندم ينشأ منها ضرر على الآخر " (ناصيف نصار، 2019، ص 104) وقدسية حرية التفكير لا تتنافى أبدا مع القول بالحدود فالمعروف أن الحد هو النقاط الفاصلة بين شيئين والتي تساعد في تحديد مساحة كل منهما دون أخذ أحد الأطراف من حق غيره وذلك على شاكلة الحد في العلم الذي يضم مجموعة عناصر تختلف عن العناصر التي يضمها غيره من الحدود لذلك يمثل الحد الخط الفصل (ناصيف نصار، 2019، 105) فمقابل الإحساس بالحرية هناك كذلك الإحساس بالمسؤولية، المسؤولية أمام حدود الآخرين فلا يحق له مهما امتدت مساحته من الحرية أن يتعدى على حدود غيره، ويلحق بهم الأذى أو يتطاول على مواقفهم وآرائهم وكما للإنسان حقوق عليه بالمقابل واجبات.

كما يؤكد ناصيف نصار من خلال تطرقه لحدود حرية التفكير أن الحديث عن الحدود ليس من باب جعلها موانع فهي قوانين ناظمة أكثر منها قوانين رادعة؛ فالإنسان بقدر ما هو مطالب بعدم المساس بحرية الآخرين كذلك تضمن له عدم المساس بحريته وبمساحته الخاصة في التفكير او التعبير، ويدخل في هذا الإطار فكرة منع الخطابات الداعمة لخطاب الكراهية والتشرذم، أو المساس بالمعتقد الديني أو الحد من تقديم الآراء السياسية أو تمنع الانتماء العرقي، فمن أجل حفظ كرامة الناس وضعت الحدود التي تفهم على أساس أنها واجب على الفرد داخل المجتمع اتجاه الآخرين.

لا شك أن عدم تقنين حرية التفكير جعل لإنسان يواجه ظواهر لا طبيعية وهي في الحقيقة نتيجة الاختلاف الذي كان أهم مبرر لحرية التفكير، توسيع دائرة الاختلاف أدى إلى ظهور فكار بعيدة كليا عن المعتقد الديني وعن الوازع الأخلاقي الذي هو فطري في الإنسان، وكما تم التوضيح سبب الاختلاف يعود إلى الاصطدام المباشر مع لحياة، لذلك وفقا لاختلاف نوعية ودرجة وشدة الاصطدام تتكوثر المعاني وتختلف المفاهيم والتصورات، والرؤى والتوجهات، لكن هذا لا يعني أن الاختلاف هو مبرر لتغير الطبيعة البشرية والخروج على المجتمع بأفكار شاذة ، اننا لا ننكر أن الاختلاف في الميول الجنسية هي حقيقة واقعية مرتبطة بمدى الثقافة المفاهيمية التي يكتسبها الإنسان غير أنها ليست صائبة دائما وإنما

في كثير منها تصريح بمعادات الفطرة السليمة للبشرية، وكثير منها ما يتنافى مع القيم الكونية، فهذه التصريحات أو الميولات التي يتم التصريح بها باسم حرية التفكير ماهي إلا ميولات شاذة تحمل الكثير من المغالطات العقلية والمنطقية، فإن كان مرد الغريزة الجنسية في الإنسان للطبيعة الحيوانية فيه، فتلبية هذا الجانب في الإنسان يتطلب ثنائية الذكر والأنثى وترفض الطبيعة وتنبذ فكرة المثلية، وعلى شاكلة هذه الأفكار تطرح الكثير من الأفكار اللا أخلاقية التي لا يبررها الاختلاف في التفكير ولا حرية التفكير.

من هذا المنطلق جعل ناصيف نصار حدود أخلاقية لحرية التفكير إذ هي حدود تراعي طبيعة الموضوع الكيفي الذي تواجهه كما أن هناك حدود قانونية حيث يقول: "مرجعين للنظر والتعامل مع الحدود على حرية التفكير، مرجعية قانونية ومرجعية أخلاقية، المرجعية القانونية أقوى باعتبارها اداة بيد سلطة قادرة على الإلزام والتطبيق والمعاقبة، والمرجعية الأخلاقية أعلى باعتبارها منظومة من القيم السامية التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات والدول، وفي مقدمتها قيمة الكرامة" (ناصيف نصار، 2019، ص 109).

ويقصد نصار بهذا القول إن هناك أفكار في ذاتها ليست أفكار مخالفة للقانون وبالتالي هي كأفكار تحمل طابع الحرية ولكن محاولة الإعلان عنها هي التي تتطلب النظر في المرجعية القانونية ومن ذلك فكرة الإبادة الجماعية كفكرة نظرية لا غبار عليها ولكن كفكرة يسعى صاحبها إلى تطبيقها تستدعي تدخل القانون وتتطلب الردع القانوني، وفي مثال آخر؛ حالة الحث على الكراهية بين الأشخاص هي كفكرة ليس لها بعد مادي أو بعد إجرائي على الواقع غير أنها ذات تأثير في النفوس في كونها مرتبطة بالعاطفة فلا تمنع بقانون والقانون لا يطال الكراهية ذاتها لذلك يحكمها هنا المرجعية الأخلاقية، الا في حال كان الحث على الكراهية في الإطار القومي أو العنصري أو الديني هنا تعود إلى المرجعية القانونية، هذا كله في إطار مجتمع ديمقراطي تتحمل فيه السلطة السياسية مسؤولية تقنين حرية التفكير .

والملفت أن حتى هذه السلطة . السلطة الدستورية أي دولة كانت . تعد هي المسؤولة عن واضع الحدود لحرية التفكير لكنها بالمقابل هي كذلك يمكن أن تكون موضوعا لها تبدي رأيها فيه وفي بنودها بالإيجاب وذلك من خلال عرض مبادئ هذه السلطة ودستورها على مشرحة النقد لذلك القوانين الدستورية حسب نصار هي قوانين قابلة للتجدد وفق متطلبات ومعطيات العصر وحسب تفكير كل جيل ولا يمكن أن تكون ثابته للأبد.

وربما أهم ما يمكن أن نوجز به الحديث في حدود الحرية الفكرية عند ناصيف يظهر في قوله: " مسألة الحدود على حرية التفكير، في مجتمع ديمقراطي، هي مسألة أخلاقية قبل أن تكون مسألة قانونية أو إدارية، فالسلطة، فيما هي سلطة، ليست سيطرة، وهي تتخذ قراراتها حول حرية التفكير والتعبير بالرجوع إلى منظومة قيم، بعضها يخصص، وبعضها الآخر كوني الامتداد" (ناصيف نصار، 2019، ص 117) والمهم في هذه المنظومة هو حضور العقل الأخلاقي كما يسميه نصار " الكوجيتو الأخلاقي" والذي يعمل على حفظ كرمة الإنسان واحقاق العدالة والمساواة بين كل الناس (ناصيف

نصار،1994، ص 94) وذلك من خلال توظيف الفاعلية العقلانية النقدية التي يمكنها ن تدرك القيم الكونية وتحدد مدى صحة المنظومة في قراراتها حول حرية التفكير فمهما كان الحق واضحا ومقدسا فلا يمكنه أن يرتفع مرتبة عن القيم الإنسانية الكلية.

ويبقى الحل الوحيد في تجاوز معوقات حرية التفكير وضبط حدودها هو الوعي الذي له القدرة على الفهم أولا من ثم تحقيق هذا الفهم وهنا يكمن السر الذي ساهم في تحضر البشرية واتساع مساحة الحرية الفكرية (أنطوان سيف، وآخرون، 2014، ص 15) هذا الوعي الناتج عن العقل الرصين الذي يمكن أن يفهم ما للحقيقة وما للقانون وما للأخلاقية والمسؤولية ويقدم حرية التفكير في حدودها وضوابطها التي تراعي الكرامة الإنسان والقيم الكونية.

الخاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية اتضحت جملة من الحقائق التي لم تكن بحاجة إلى إثباتات للكشف عنها بقدر ما كانت المادة العلمية المنتجة لها بحاجة إلى عرض منهجي يفرضها وفق العلاقة الحتمية بين المقدمات والنتائج، نلخص هذه النتائج كالتالي:

الحرية هي قدرة الكائن العاقل على الاختيار في دائرة لا متناهية من الاختيارات دون إكراه خارجي ولا توجيه ممنهج، ولأن قدرته على الاختيار تنبع من طبيعة احتياجاته للشيء ومن كمال رشده وصحة عقله فهو شخص مسؤول عن اختياراته ومسؤوليته تكون أمام القوانين التي شارك في وضعها بإرادته.

حرية التفكير تعبر عن نوع من أنواع الوعي، فهي تمثل لحظة وعي الذات بذاتها وقدرتها على صياغة واتخاذ قراراتها، وتعقل لنافع من الضار، لكن حرية التفكير لا معنى علها إن لم يتم تصريح الإنسان بما يفكر فيه .

يرى ناصيف نصار أن حرية التفكير هي استخدام العقل وتفاعله مع المواضيع التي يصطدم بها في الحياة مع ضرورة أن يكون هذا التوجه بالعقل للمواضيع قصدي ودون تأثير أو إكراه، ودون أي وسائط مفروضة، كما يعتقد نصار أنه لا يمكن الحديث عن حرية التفكير ظل وجود اكرهات مفروضة على الإنسان.

حرية التفكير ليست بظاهرة حديثة الظهور وإنما ارتبطت بقدرة العقل على التفكر ولعلها بدت واضحة المعالم أكثر عند اليونان القدامى ومع الفلاسفة المنشغلين بالنقد الفلسفي الذي من شأنه تغير الواقع وتقويض المغالطات، ولقد كانت حادثة سقراط الذي صرح بأفكاره المعادية للنظام حينها والتي أودت بحياته خير دليل على أن حرية التفكير مسؤولية، كما وأن الدين الإسلامي أرسى قواعدها وأقر للإنسان حريته في اعتناق المعتقد الذي يقتنع به ولم يجعل اعتناق الإسلام كرها فمادام للإنسان عقل فهو قادر على تميز واختيار ما يعتقد بيقينيته.

يهتم ناصيف نصار بطرح إشكالية حرية التفكير انطلاقا من تركيزه على فكرة أساسية مفادها هو البحث في حرية التفكير والمضامين التي ساهمت في بنائها في الحداثة الأوربية بشكل خاص، كون هذا المفهوم ارتبط بظهور الديمقراطية، كما يعد المفهوم من ناحية تسميته لا تطبيقاته ذا أصول غربية،

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1) ناصيف نصار: **مطارحات العقل الملتزم في بعض مشكلات السياسة والدين والأيديولوجية**. ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986
2) ناصيف نصار : **الأيديولوجيا على المحك (فصول جديدة في تحليل الأيديولوجية ونقدها)**. ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1994.
3) ناصيف نصار : **باب الحرية (انبثاق الوجود بالفعل)**، دار الطليعة، بيروت، 2003.

4) ناصيف نصار : **التنبيهات والحقيقة**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2019.

ب-المراجع:

1) الدراجي زروخي: **نحو فلسفة للتاريخ**، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، 2013.
2) امانويل كانط: **تأملات في التربية ماهي الأنوار. ما التوجيه في التفكير**، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2005.
3) أندري لالاند: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
4) ج، بيوري: **حرية التفكير**، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
5) جلول مقورة: **فلسفة التواصل في الفكر العربي طه عبد الرحمان وناصيف نصار بين القومية** والكونية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015.
6) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
7) جيل دولوز: الاختلاف والتكرار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.
8) رونيه ديكارت: مقال عن المنهج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
9) عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
10) علي بن محمد الشريف الجرجاني: **التعريفات**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.

11) مجموعة من المؤلفين: **أضواء على التعصب من أديب إسحاق والأفغاني إلى ناصيف نصار**، ط1، دار أمواج للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
12) محمد بن كرم بن منظور: **لسان العرب**، ج4، دار صادر، بيروت، (دس).
13) غدمار: **الحقيقة والمنهج**، ط1، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا للنشر والتوزيع، طرابلس، 2007.

ج-المقالات:

1) خالد بن عبد العزيز السيف: الحرية عند جون ستوارت ميل قراءة في ضوء الإسلام، **مجلة كلية العلوم الإسلامية**. ع 67، بغداد العراق، 2021.